ثامناً: آفة الرياء

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي طهَّر بنوره قلوبنا، وسقى برحيق القرآن أرواحنا، وطهَّر من الشُح والأحقاد والأحساد والأمراض نفوسنا، والصلاة والسلام على طبيب القلوب والحبيب المحبوب المقرَّب والمقرِّب لحضرة علام الغيوب، سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وأتباعه والقائمين بدعوته إلى يوم الدين، وأكرمنا واجعلنا منهم ومعهم يا أكرم الأكرمين، آمين يا رب العالمين.

من المعاصي القلبية التي تتسبب في إحباط الأعمال التي يعملها الإنسان لله، وتُفقد المرء ثواب الطاعات التي يتوجه بها لمولاه، وتجعله بعد ذلك ربما يقع في الشرك الأصغر الذي يتغلغل في النفوس، والذي حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، آفة الرياء.

حقيقة الرياء

الرياء هو كل فعل يفعله الإنسان ظاهره أنه طاعة لله وفي نيته أن يراه الناس من أجل أن يُقال هذا رجل صالح أو يُثنوا عليه أو يُطروه أو يمدحوه.

وهناك فرق بين الرياء والسُمعة، فالرياء يختص بالعمل ليراه الناس، أما السُمعة فتختص بالذكر؛ بأن يذكره الناس – وإن لم يرهم وإن لم يروه – بحُسن الأحدوثة والصيت ليسمع به الناس ويعرفه الناس.

أسباب الرياء

للرياء أسباب قلبية داخلية، أهمها أن يكون الإنسان دائماً يميل إلى حب الجاه في قلوب الآخرين، وأن يكون له منزلة عند الناس، وتكون هذه المنزلة أعظم إذا كان ظاهرها صالحات وطاعات لرب الناس، كذلك النفس تحب الحمد والثناء والمدح، ولذلك جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلَّم وقال: { الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }[1]

[1] البخاري ومسند أحمد عن أبي موسى ﷺ

إخلاص العمل لله

وهنا نرى أن صحابة النبي الأمين كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلَّم ولا يتحرجون في أدق المسائل، حتى يكونوا دائماً وأبداً مخلصين لله عاملين بقول الله: " وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " (٥البينة).

وورد أن رجلاً قال:

{ يا رسول الله إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) }[٢]

ورُوي أيضاً من رواية أخرى عن أبي حاتم قال: {كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يُرى مكانه، فأنزل الله تبارك وتعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)} (١١٠الكهف).

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال:

{قالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أُعْتِقُ وأُحِبُّ أنْ يُرى، وأتَصَدَّقُ وأُحِبُّ أنْ يُرى، فَنَزَلَتْ: (فَمَن كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا)}

وروى أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال:

{كانَ جُنْدُبُ ابْنُ زُهَيْرٍ إذا صَلّى أوْ صامَ أوْ تَصَدَّقَ، فَذُكِرَ بِخَيْرٍ اِرْتاحَ لَهُ، فَزادَ في ذَلِكَ لِقالَةِ النّاسِ، فَلا يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ، فَنَزَلَ في ذَلِكَ: (فَمَن كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا)}

وهكذا نجد أن أسباب النزول وإن تعددت فإن القصد منها كلها أن يكون العمل خالصاً لله، لا يرجو به المرء شُهرة ولا سُمعة ولا رياءًا ولا منزلة ولا مُحَمَّدة من الناس، ولذلك قال صلى الله عليه وسلَّم حين سأله رجل:

[٢] الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال صلى الله عليه وسلَّم: أَلاَّ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِطَاعَةِ اللهِ يُرِيْدُ بِهَا النَّاسَ }[٣]

وقال رجل:

{ يا رسول الله فيم النجاة غداً؟ فقال صلى الله عليه وسلَّم: لا تخدع الله، قال: وكيف نخادع الله؟ قال: أن تعمل بما أمرك به تريد به غيره، فاتقوا الرياء فإنه الشرك بالله }[٤]

وحديث الثلاثة الذي رواه الإمام مسلم في باب الإخلاص، يقول فيه ﷺ:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ؟ قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ: وَلَمْ أَفْهَمْ تُحِبُّ كَمَا أَرَدْتُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ }[٥]

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٦]

وهذا الحديث خلاصته أن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم.

---

٣ اتحاف الخيرة المهرة، باب التحذير من الرياء

٤ درر المنثور

٥ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٦ جامع الترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه

ذمّ الرياء

ولذلك فإن الله تبارك وتعالى ذمَّ المرائين وذمَّ الرياء فقال تبارك وتعالى في قرآنه الكريم:" فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ " (٤-٧الماعون).

فإذا كانت الصلاة من أجل أن يراه الناس ويعتقدوا أنه رجل صالح، فهذا رياء وهؤلاء لهم الويل، والويل واد في جهنم تستعيذ جهنم من شدة عذابه.

كيف يكون حال المؤمن؟ وجَّه الله المؤمنين إلى الطريق الأمجد الكريم في العمل لله فقال على لسان الإمام عليٍّ وزوجه وأولاده البررة: " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا " (٩الإنسان).

ولذلك حذَّرنا النبي صلى الله عليه وسلَّم تحذيراً شديداً، فقال صلى الله عليه وسلَّم:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ }[٧]

فالرياء أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء كما قال ﷺ:

{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ }[٨]

وقال صلى الله عليه وسلَّم:

{ مَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ }[٩]

الشرك نوعان، فهناك الشرك الأكبر أعاذنا الله منه وهو الكفر بالله تعالى، وهناك الشرك الأصغر الذي أشار إليه الله في قوله: " وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " (١٠٦يوسف) ووضحه النبي صلى الله عليه وسلَّم فقال:

[٧] معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

[٨] الحاكم في المستدرك وأبي نعيم في الحلية عن عائشة ﷺ

[٩] المعجم الكبير للطبراني عن جندب ﷺ

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً }[10]

ويقول صلى الله عليه وسلَّم مبيناً تبرؤ الحق من كل عمل غير خالص لوجهه الكريم، يقول الله عز وجل:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[11]

وزيادة في تحذير المؤمنين الصادقين من الشرك بكل أنواعه، قال صلى الله عليه وسلَّم:

{ إِنَّ أَدْنَى الرِّيَاءِ شِرْكٌ }[12]

وقال صلى الله عليه وسلَّم:

{ إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ }[13]

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يطهرنا من الرياء بكل صنوفه وأنواعه ظاهراً وباطناً، وأن يجعلنا من عباده الخالصين المخلصين آمين يا رب العالمين.

ورأى عمر بن الخطاب رجلاً يُطأطئ رقبته في الصلاة، ويتظاهر بأن هذا خشوعٌ لله، فقال عمر ﷺ: (يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب).

وبيَّن الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه العلامات التي تظهر في الإنسان المرائي – نسأل الله أن يطهرنا منها أجمعين – فقال: (للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه ويُنقص إذا ذُمَّ على العمل).

أنواع الرياء

[10] مسند أحمد عن محمود بن لبيد ﷺ

[11] صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

[12] الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عمر ﷺ

[13] سنن ابن ماجة والحاكم عن معاذ بن جبل ﷺ

الرياء أنواع كثيرة، بحسب ما يظهر على هيئة الإنسان، فالرياء محله في القلب، ولكن له أثر ظاهر على هيكل الإنسان وظاهره:

فمنه الرياء بالبدن، كمن يتظاهر بأنه مرهق من كثرة الصيام، وتعب من عناء الحر الشديد إذا كان صائماً، ويظن أنه من كثرة العبادات والطاعات حصل له ذلك، وهذا أمر كان يُخفيه سلفنا الصالح حتى لا يرى الله منهم إلا باطنهم، وباطنهم كظاهرهم، وليس لهم أي شأن برؤية الخلق ونظرهم.

وهناك رياء بالزي وبالهيئة العامة، كالذين يشتغلون بزيٍّ خاص يظهر للناس به أنهم عابدون، أو أنهم مجذوبون، أو أنهم مطيعون لله عز وجل، ويمشون في الطريق مع خفض الرأس، ويُرَى لهم علامة للسجود في الجبهة في أعلى الوجه، ويلبسون أحياناً ثياباً مرقعة، وأحياناً ثياباً لها لون خاص يدل على الإنتماء لقوم من الصالحين، وهذا أيضاً رياء يتحرر منه الصالحون.

ولذلك رُوي أن الإمام أبو العزائم ﷺ عندما أراد أبناؤه أن يمشون في المواكب، وكان أصحاب المواكب لكل جماعة منهم زيٌّ مخصوص، وأعلام مخصوصة ولون مخصوص، فقالوا: ما الذي تختاره لنا؟ قال: الثياب البيضاء لقوله صلى الله عليه وسلَّم:

{ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ الْبَيَاضُ }[١٤]

وليس فيها تظاهر ولا سُمعة ولا رياء ولا زهو.

وهناك رياء بالأقوال، كمن دائماً وأبداً يحاول أن يردد أقوال الصالحين ليجذب السامعين، ويفهموا منه أنه من كبار الصالحين، أو يتظاهر بمسبحة ألفية أو مئوية في يده، ويتصنَّع بشفتيه أنه يذكر الله أمام الخلق في طريق أو في مركبة أو ما سوى ذلك، وغيرهم الذين يتظاهرون بهذه الأحوال.

كذلك الذين يتشدقون بألفاظ المدد لرسول الله، ولأهل البيت ويجهرون بها في أي زمان

[١٤] مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما

ومكان ليعلم الناس أنهم على صلة مباشرة بهؤلاء الصالحين.

وهناك الرياء بالأعمال، وهذا يظهر أمام الناس كمن يعظ ويرشد الناس ويتعمد ذكر الله أمامهم حتى يرى الناس أنه عالم جليل وله فضل ومزية عليهم، وكذلك من يطيل السجود والركوع أمام الخلق، وإذا كان بمفرده أو في خلوته ينقر الصلاة نقر الديكة، ولا يخرج الإنسان من الرياء في الأعمال حتى تستوي عبادته أمام الخلق بعبادته في خلوته أمام الحق، لأنه يتعبد لله وليس لخلق الله.

وهناك من يتعمد الطواف على الأولياء الأحياء والأموات ويتعمد زيارتهم، ويذكر ذلك ويتباهى به أمام الناس ليعلم الناس أنه على صلة وثيقة بالأولياء أحياءًا وأمواتاً.

ومنهم من يتعمد دعوة كبار الصالحين عنده لينال الشُهرة بزيارتهم وليس لحُسن اتباعهم ولا الاقتداء بأفعالهم، بل يطلبون بذلك المنزلة في قلوب العباد.

ومنهم من يلتمس مع ذلك أن تنطلق ألسنة الناس بالثناء عليه، والحمد على أفعاله، ويريد أن يسمع ذلك منهم، حتى أن بعضهم يتهم نفسه بالتواضع أمام الآخرين، وربما يقدح في نفسه ويذُّم فيها لكي يمدحونه وتشتهي نفسه سماع هذا المدح، وبعضهم يتمثَّل بقول الإمام الشافعي:

أُحب الصالحين ولستُ منهم عسى أني أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سوياً في البضاعة

ليرد عليه الحاضرين بما ردَّت به السيدة نفيسة على الإمام الشافعي حيث قالت له:

تحب الصالحين وأنت منهم عسى أن ينالوا بك الشفاعة
وتكره من تجارته المعاصي وقاك الله من تلك البضاعة

فيذُم نفسه أمام الناس تظاهراً بالتواضع ليمدحوه ويُثنوا عليه فينشرح صدره ويتبسَّم ويظهر على وجهه البشر والترحاب، ويستلذُّ بسماع هذا الثناء من الخلق، وهذا من الشهوة الخفية التي حذَّرنا منها خير البرية صلى الله عليه وسلَّم.

ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد، ويتفنَّن في ذلك لتطير شهرته في الآفاق بأن

ينسب لنفسه بعض الكرامات والرؤيات ويرويها لمن حوله ويأمرهم بنقلها، حتى يشتهر بين الناس ويأتيه الناس أفواجاً لزيارته لزيادة شهرته.

ومنهم من يريد الاشتهار عند الأمراء والوجهاء لتقبل شفاعته عندهم، وتُنجز الحوائج على يديه، فيكون له بذلك جاه ومنزلة عند العامة، ويقولون فلان هو الذي يقضي الحاجات، وهو الذي يذهب إلى الوجيه فلان وإلى المحافظ فلان لقضاء المصالح للخلق، فلان كذا وكذا ويتلذذ بذلك.

ومنهم من يقصد من وراء ذلك جمع حطام الدنيا الفاني، وكسب المال من الناس بالشهرة الفارغة، كل ذلك من أنواع الرياء التي تُحبط الأعمال، وتجعل الإنسان خاوي الوفاض من ثواب الطاعات والعبادات، كما ورد بالأثر: (إن من الناس من يملأ صيطه بين المشارق والمغارب، وترفع له الملائكة عند الله يوم القيامة كما بين السماء والأرض، فيقول الله تبارك وتعالى: إضربوا بهذا وجه صاحبه فإنه لم يُرد بذلك وجهي ولا الدار الآخرة).

درجات الرياء

الدرجة الأولى: أن لا يكون مراد الإنسان الثواب أصلاً، وهي أغلظ الدرجات لأنه يفعل العمل أمام الخلق فإذا خلا يمتنع عن فعله، كمن يُصلي إذا رآه الناس ولا يُصلي إذا خلا مع نفسه، مع أن رب الناس يطلع عليه ويراه.

ومن يدَّعي الصيام شُهرة أمام الخلق وهو مُفطر في ذات نفسه، ومن يحج حجَّات كثيرة، ليُقال فلان حج البيت كذا وكذا مرة، وعمل من العمرات كذا وكذا، ونسي أن الصِدِّيق أبو بكر لم يُقال له الحاج أبو بكر، ولم يُقال لعمر الحاج عمر ولا غيرهم من صحابة النبي، ولم يكونوا يريدون من ذلك إلا وجه الله تبارك وتعالى.

وهذا النوع من الرياء ممقوت عند الله، نسأل الله الحفظ والسلامة ممن ينزل عليه سخط الله ومقت الله تبارك وتعالى.

الدرجة الثانية: أن يكون له قصد ثواب ولكن قصد ضعيف، وهمه الأكبر في الشهرة

والظهور بين الناس والسمعة، وهذا قريب مما قبله في نزول المقت والسخط عليه من الله سبحانه وتعالى.

الدرجة الثالثة: أن يكون قاصداً الثواب، وقاصداً أن يعرفه الناس بالطاعات والقربات، وهذا نرجو أن يسلم فلا يكون له ولا عليه يوم القيامة إن شاء الله.

أما الذي يكون إذا عمل بمفرده في خلوته كان مقتصداً، وزاد في العمل وقوي نشاطه أمام الخلق، فهذا ربما يكون عمله مقبولاً، ولكن يُنتقص من أجره وثوابه على عمله على قدر رغبته في ظهوره أمام الخلق، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين.

علاج الرياء

وإذا كان الرياء بهذه الخطورة في إحباط الأعمال عند الله، وذهاب المنزلة في الآخرة والتقرب من حضرة الله، فما علاج الرياء؟

علاج الرياء أن الإنسان يعلم علم اليقين ما ذكرناه من أن الإسلام حذَّر من الرياء ووصفه بأنه شرك أصغر بالله تعالى، فيجب على المسلم أن يتجنبه في جميع الأعمال والعبادات والطاعات التي يقوم بها، ومن كان عنده شيء من الرياء فيعالج نفسه بما يلي:

أولاً: استشعار مراقبة الله لجميع ما يصدر من العبد من الأقوال والأفعال، ويعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، فالذي يسمعه أولاً هو السميع، والذي يراه أولاً هو البصير، فيُحسن عمله ليراه السميع البصير ظاهراًوباطناً طاهراً تقياً نقياً لله تبارك وتعالى.

ثانياً: أن يستعين بالله على التخلص من الرياء، فيُكثر من الدعاء ظاهراً وباطناً في كل أوقات الإجابة أن يخلصه الله من الرياء، ولسنا أعظم من الصِدِّيق ﷺ، فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلَّم دعاءًا يخلص به من الرياء، فقال له صلى الله عليه وسلَّم:

{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ }[١٥]

والصالحون دائماً يجعلون هذا الدعاء في سجودهم، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه

١٥ البخاري في الأدب المفرد وجامع الترمذي عن معقل بن يسار ﷺ

وهو ساجد حتى يستجيب له مولاه، فيُخلصه بفضله وكرمه من الرياء.

ثالثاً: أن يتعرف من العلماء العاملين على الآثار السلبية للرياء حيث يُحبط الأعمال والعبادات ويُوجب سخط الله، ويجتهد وسعه أن يتذكر هذه الآثار على الدوام حتى تتجنب نفسه الركون إليه، أو الميل إلى صنيع مثله.

رابعاً: أن يعرف أن للرياء في الحياة الدنيا عقوبة، وهي أن الله عز وجل آلى على نفسه أن يكشف القصود السيئة والنوايا الخبيثة للناس أجمعين، فكل من كان له قصد لغير وجه الله، أو نية خبيثة في عمل ظاهره طاعة لله، فلا بد أن يكشفه للخلق، وهذه شر العقوبة حيث يناله خزي بين الناس، ويكون دائماً وأبداً ربما محل استهزائهم، أو ربما يكون موضع ضرب أمثالهم، نسأل الله تبارك وتعالى أن يخلصنا من الرياء أجمعين.

إظهار العمل لقصد حسن

بقي أمر أحب أن أوضحه في هذا الباب: قد يكون الإنسان يُظهر عمله أمام الناس بقصد حسن لكي يقتدوا به في الخير، ويصنعوا كصنيعه، فإذا كان صادقاً في نيته مخلصاً في سريرته كان عمله هذا طاعة لله خالص من الرياء والسمعة وغيرها مما ذكرناه.

فقد ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم دعا الناس إلى التصدق، فجاء رجل من الأنصار بصُّرة لا يستطيع حملها من ثقلها، ولما رآه الناس تتابعوا بالعطية فقال صلى الله عليه وسلَّم:

{ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا }[١٦]

وتجري سائر الأعمال كالصدقات وغيرها هذا المجرى، وكذلك الصلاة والصيام والحج والغزو، ويُستحب هذا بصفة خاصة من العلماء العاملين ليتشبه بهم كُمَّل المريدين وخاصة السالكين، لأن أعز الناس عند الله تبارك وتعالى هم الأنبياء والمرسلين، وقد أمرهم الله تعالى

[١٦] معجم الطبراني، وورد في صحيح مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم بصيغ مختلفة عن جرير بن عبد الله ﷺ

بإظهار العمل للاقتداء بهم وخصَّهم بمنصب النبوة والرسالة.

ولا يجوز أن نظن بهم أنهم حُرموا من أفضل العملين، بل حازوا الحُسنيين، لأنهم أخلصوا العمل لله وأصبحوا خير قدوة لخلق الله، ومن هنا قال لنا الله في حبيبه ومصطفاه: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا " (٢١الأحزاب).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الصدق في أقوالنا، والإخلاص في أسرارنا، وأن يطهرنا من الرياء والنفاق في كل أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، وأن يرزقنا حُسن القصد وصفاء النية في كل توجهاتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم